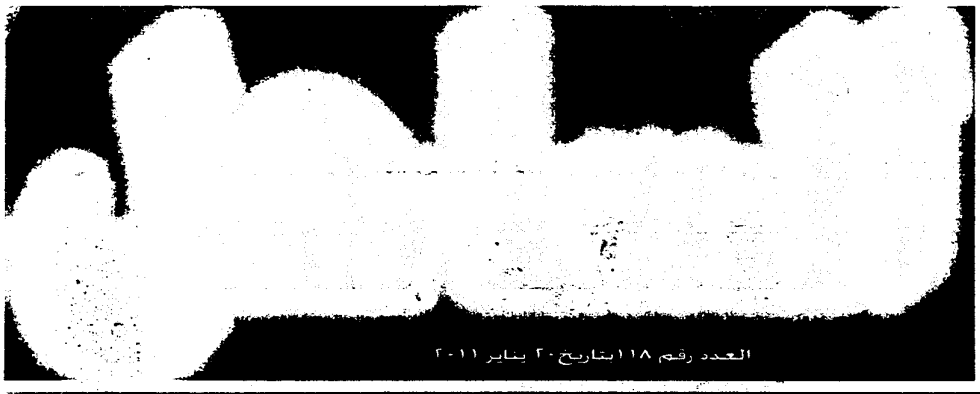

العدد رقم ١٨ بتاريخ ٢٠ يناير ٢٠١١

محمد المامون ولد ميني ولد أمم المعروف بـ«الشيخ أمم» في حوار مع جريدة الساحل

الأيام الثقافية الصوفية في السنغال تختتم أعمالها بمدينة سالي السنغالية :

حول : دور التصوف في توعية وتوجيه الشباب

هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية تنظم حفلا لصرف مخصصات الأيتام

جمعية الدعوة الإسلامية العالمية تنظم قافلة ثقافية في السنغال

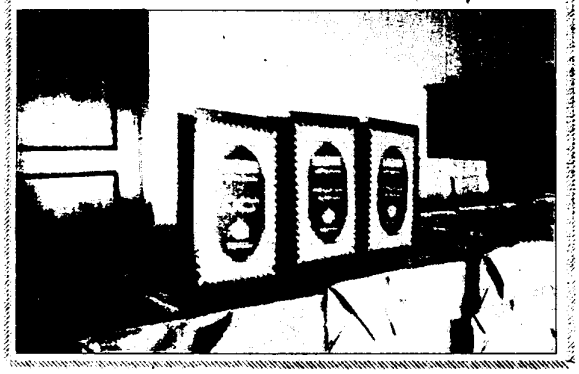

تشكيل مجلس سنيغالي ليبي للإعمال

الرئيس واد يعد بتحسين ظروف القضاء

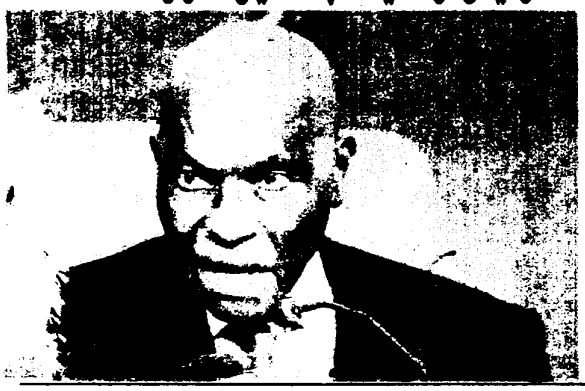

الشيخ عمر كوتا المشهور بعمر بن مالك

١- نسبه:

هو عمر كوتا بن مالك كوتا بن ديمبا كوتا بن هيبرا كوتا بن مغالو كوتا بن بابكر كوتا بن مالك انجاي بن امبابا بوري انجاي بن انجاجان انجاي.

ولقب كوتا (ويعني: الذي لايقهر) عرف لأول مرة ابتداء من بابكر كوتا ومن وراءه كلهم كانوا يلقبون بانجاي، والسبب في ذلك أنهم في الحروب الأهلية الدائرة بين العوائل كان يسقط منهم العديد قتلى وجرحى ثمّ أوجدوا لأنفسهم درعا وقيا من التمانم، لا زالت حتى الآن لدى البعض، فبدأ لايذهب منهم أحد إلى الحرب إلاّ ورجع سالما، فأصبحوا لايذكرون إلاّ مقرونا بكوتا فأصبح لقبا لهم.

وجدّه انجاجان انجاي هذا كان من أشهر الأمراء السنغاليين السابقين في العصور الغابرة، قد تزوج بالسيدة جلان تيام التي تشترك مع عائشة تيام أمّ الشيخ عمر الفوتي تال الذي قام بالجهاد الإسلامي حتى وصل إلى مناطق في نيجيريا كما تشترك مع مصامبا تيام: الجدّ الأعلى لشيخ الإسلام أمّا واحدة وأبًا واحدا.

وجلان تيام هذه هي والدة مالك انجاي : الجدّ الأعلى لعمر بن مالك الذي سمّاه والده اسم هذا الجدّ، وهي والدة حواء انجاي أيضا وهذه الأخيرة هي والدة عبده واد وهو والد مختار واد وجدّ مور تولا واد والد عبد الله واد الرئيس الحالي لجمهورية السنغال.

وانجاجان انجاي المذكور سلفا هو والد ماتي انجاي احدى زوجات مابا جاخو باه الذي أعلن الجهاد ضد الوثنيين في نيورو (تبعد عن كاولاك ب٦٠ كيلومترا) والذي بدعوته الجهادية تحرّك الجدّ الحاج عبد الله نياس مع خاله ابراهيم تيام للاستقرار في ضواحي كاولاك أوّلا ثمّ في كاولاك أخيرا من أجل نجدة مابا جاخو باه للأخوة الإسلامية ولرابطة الدمّ التي تجعل الأسرتين في عائلة واحدة، وبعد وفاة مابا جاخو باه خلفه ابنه سعيد ماتي باه ابن ماتي انجاي المذكورة كاحدى بنات انجاجان انجاي.

أما ابراهيم تيام وخديجة تيام والدة الحاج عبد الله نياس فهما من أمّ واحدة هي نوتي سيك وأبّ واحد هو ديمبا تابارا تيام بن مختار تيام بن محمود تيام بن مصامبا تيام الذي يشترك كما قلنا مع عائشة تيام والدة الشيخ عمر الفوتي تال أمّا واحدة وأبا واحدا كان قد هاجر من هالوار احدى مناطق فوتا طورو في أقصى شرق السنغال إلى منطقة جولوف في وسط السنغال وأسس فيها مدرسة قرآنية يعتبر من أشهر خريجيها كلّ من:

١- مام مارم امباكي جدّ الشيخ أحمد بامبا زعيم احدى الطوائف الدينية في السنغال.

٢- ديمبا بونا سي جدّ الشيخ الحاج مالك سي زعيم طائفة كبيرة من التجانيين في السنغال.

٣- ساكوكي جوب مؤسس المدرسة العلمية والقرآنية في بلدة كوكي بالسنغال.

٤- أحمد لوه الزعيم الأكبر للعلماء في لينغير بالسنغال.

٥- علي سيسي الأكبر مؤسس المدرسة العلمية في جامل بالسنغال.

٦- ديمبا غي فال مؤسس جامعة بير(بيروب داري) السنغالية.

٧- محمد سالل في بامبو مودو.

٨- مختار لوه في جاجوك جاكا.

٩- معبده بطي في امبالاخي.

١٠بوبو سوادو في فوتا طورو.

وغير هؤلاء من علماء السنغال وبهذا نعرف أن الجدّ مصامبا تيام كان الشعلة التي منها اقتبست المراكز الإسلامية في السنغال بالإجماع.

وهو الذي يرّس شيوخ المدارس الكبرى المعروفة بالشهرة في البلاد ثمّ تولى تلاميذه بعد ذلك نشر العلم وتدريس القرآن الكريم في عموم الشعب.

أمّا مصامبا نفسه فقدرس في بلاد كانار (موريتانيا اليوم) وعاد إلى كيل في جولوف ثمّ أمره شيخه بالذهاب إلى ماليم هودور ليتولى تعليم ياكا بوبو زعيم المنطقة باعتباره أعلم وأفقه منه.

وابراهيم تيام المذكور أعلاه على أنه هو خال الشيخ الحاج عبدالله نياس الأكبر فهو والد مابا تيام الذي سمّاه مابا جاخو باه، ومابا تيام هو والد خديجة تيام وهذه هي والدة الحاج عبد الله كوتا بن عمر بن مالك.

وبهذه الرابطة الأسرية نجد أن شيخ الإسلام هو خال والدي الحاج عبد الله كوتا.

٢- مولده ودراسته:

ولد الشيخ عمر بن مالك في قرية تيانداً عام ١٨٨١م (١٣٤٤ه) حسب ما أخبرني والدي يوم الاثنين ١٩٨٨/٣/٢٨ وعاش في حضانة والده مالك انجاي كوتا الذي توفي عنه وهو في التاسع من عمره وكان قد بدأ دراسة القرآن الكريم على يد أبيه قبل وفاته في السابع وثلاثة أشهر من عمره وكان والده قد أوصى أن يتكفّل به الشيخ الحاج عبد الله نياس بعد رحيله إلى الرفيق الأعلى، وبقي لدى الشيخ الحاج عبد الله نياس خمس سنوات لدراسة القرآن الكريم ثمّ رحل مع الشيخ عبده سالا نياس أحد أولاد عمّ شيخ الإسلام إلى قرية جاكان لمتابعة دراسة كتاب الله ثمّ منها إلى قرية طيبة نيانغين لدى السيد أحمد بكار ثمّ عاد مرة أخرى إلى الشيخ الحاج عبد الله نياس بعد حفظه القرآن الكريم وذلك لدراسة علم الفقه، ثمّ انتقل إلى قرية بمبانا حيث أكمل رحلته الدراسية، وهناك من يقول أنه مرّ بالشيخ الحاج مالك سي ضمن ترددات لدى علماء السنغال ودرس منه كتاب ابن بون.

عاد من رحلاته العلمية واستقرّ لدى عمّه عبده كورا كوتا في قرية جاكان وفسّر القرآن الكريم أربع مرّات: مرّة في قرية بيمار ومرّتين في كيبي امبوداي ومرّة في طيبة امبطيين.

٣- علاقة والده بالشيخ الحاج عبد الله نياس:

كان مالك انجاي كوتا والد عمر بن مالك قد هاجر مع ثلاثة من إخوانه هم: عبده كورا كوتا وبابكر كوتا وساكودو كوتا من بلدة وورخوخ في منطقة جولوف إلى منطقة سالوم وذلك للأسباب ذاتها التي دفعت الشيخ الحاج عبد الله نياس إلى القيام بالهجرة إلى هذه المنطقة مع والده محمد نياس وخاله ابراهيم تيام الذي سمي به شيخ الإسلام، وهذه الأسباب هي نجدة الأمير الشيخ مابا جاخو باه في جهاده الإسلامي ضد الوثنيين بناء على أخوة الدمّ وعلى الرابطة الدينية وأيضا لأن منطقة سالوم كانت خصبة على عكس منطقة جولوف الجدبة، هذا إلى جانب الإرادة الإلهية في جعل هذه المنطقة محل ولادة ومقرّ إقامة صاحب الوقت مولانا شيخ الإسلام الحاج إبراهيم نياس رضي الله عنه.

كان عبده كورا كوتا ثريا قديرا من الناحية الاقتصادية تكفّل بجميع أبناء أخيه مالك بعد وفاته وكان يحبّ عمر بن مالك ويعتني به ويرعاه. أمّا بابكر كوتا فكان بطلا خبيرا في ميدان القتال والمضاربة وكان يدافع ببسالة عن مصالح الأسرة ويعمل لصون كرامتها وشرفها في وجه التكتّلات العائلية في المنطقة.

أمّا الشيخ الحاج عبد الله نياس فهو الذي تولى جانبا من تربية الشيخ عمر بن مالك الروحية وتعليمه القرآن الكريم والفقه طبقا لوصاية أبيه مالك انجاي كوتا الذي كانت تربطه علاقة متينة بالشيخ الحاج عبد الله نياس. قد تتيح لنا فرصة العودة إلى هذه العلاقات في مناسبات أخرى لأن الأخ علي حيدر الذي طلب مني أن أقيّد له هذه المعلومات فاتحني في ذلك متأخرا ومتعجّلا.

٤- حياة الشيخ عمر بن مالك كوتا مع الشيخ الحاج عبد الله نياس:

بعد أن كان عمر بن مالك قد تبحّر في علوم القرآن والفقه والتفسير والتوحيد واللغة والعروض والبيان حتى سمّاه شيخ الإسلام لاحقا بحسان والدي نسبة إلى حسان بن ثابت في علوم اللغة المختلفة خاصة في علوم الشعر العربي، بعد ذلك استقرّ جدّنا عمر بن مالك لدى الشيخ الحاج عبد الله نياس ولازمه فترة طويلة كسكرتير شخصي له يقوم بخدمته ويكتب له رسائل إلى علماء عصره ويسجّل فيما يشبه اليوم تقارير إخبارية أو مقالات صحافية عن تنقلاته، أي إنه كان الصحافي الذي كان يلازم الشيخ الحاج عبد الله نياس تماما كما يصحب رؤساء الدول اليوم صحافيين يسجّلون وقائع سفرهم.

إذن فالشيخ عمر بن مالك كان قد سبق المعاصرين في معرفة مادة التحرير الصحفي وفنونها والعمل بها، وكما كان رؤساء الدول في العصر الحديث يجلبون معهم في أسفارهم صحافيين أكفاء لنقل وقائع تنقّلاتهم وتصريحاتهم كان الشيخ عمر بن مالك كذلك صحافيا ملازما للشيخ الحاج عبد الله نياس وجعله فوق كل شيوخ زمانه في تواوون وكيس(تيس) وجوربيل وروفيسك.

ولعل أكبر شاهد على كون عمر بن مالك ملازما للشيخ الحاج عبد الله كموثق، تقريره عن سفر الشيخ الحاج عبد الله إلى أرض انجونيك وهو كتاب سماه الشيخ عمر بن مالك: الرحلة النياسينية في الأرض النجونيكية تناول في هذا التقرير كل صغير وكبير عن هذه الرحلة العلمية التاريخية التي تحدّث فيها الشيخ الحاج عبد الله عن الإسلام وقضاياه وعن الطريقة التجانية وخفاياها.

وله مؤلفات كثيرة ومآثر علمية عديدة على شكل مخطوطات في الشعر والنثر لايسع لنا المجال لذكرها في هذه العجالة.

٥- أولاد الشيخ عمر بن مالك انجاي كوتا:

فقد حكى لنا الوالد الحاج عبد الله كوتا بن عمر بن مالك أن لوالده عمر بن مالك اثني عشرة ولدا وهم كالتالي:

- السيد محمد خادي كوتا.
- السيدة فاطم بوري كوتا.
- السيد مالك كوتا.
- السيد علي كوتا.
- السيد عمر كوتا.
- الشيخ برهام كوتا، أصغرهم إذ كان عمره يوم وفاة والده أربعة أشهر وهو حاليا يعيش في قرية كولما قرب طيبة نياسيين مقر ولادة شيخ الإسلام.
- السيدة آمنة كوتا.
- السيد عثمان كوتا.
- السيد أبوبكر كوتا.
- السيدة مام خادي كوتا.
- السيد الشيخ أحمد التجاني كوتا.
- الشيخ الحاج عبد الله كوتا الذي سمي بالشيخ الحاج عبد الله نياس وهو والدي وكان عمره لدى وفاة والده أربع عشرة سنة ورباه شيخ الإسلام وكان أول رئيس قرية مدينة شيخ الإسلام وهو الذي عمل على ترسيم المدينة وعلى إدخال أنابيب المياه وأعمدة الكهرباء إليها كما عمل لدى السلطات المحلية التي كانت تربطه بها علاقة قوية ومتينة على بناء المستوصف والسوق المحلي وكذلك على إيجاد موقف للقطار في مدينة شيخ الإسلام.

توفي والدي الشيخ الحاج عبد الله كوتا بن عمر بن مالك عام ١٩٩٤م ودفن في مقابر المدينة وأحاطنا علما قبل وفاته بشهر أن كلا من عمر ومالك والشيخ التجاني وعلي وعثمان توفوا قبل أبيهم عمر بن مالك وكذلك أبي بكر الذي توفي وهو في المسيد، أمّا محمد خادي كوتا فقد توفي بعد وفاة أبيه إلا أنه لم يتزوج. وبقي الحاج عبد الله كوتا الذي توفي هو الآخر يوم الجمعة ٩ سبتمبر ١٩٩٤م الموافق ٢ ربيع الثاني ١٤١٥ه وابنه برهام كوتا وهو باق على قيد الحياة أمده الله بعمر طويل مع الصحة.

٦- التحاق الشيخ عمر بن مالك بشيخ الإسلام إبراهيم نياس بعد وفاة الحاج عبد الله نياس:

وبعد ظهور الفيضة في عام ١٣٤٧ه الموافق ١٩٣٠م التحق الشيخ عمر بن مالك بشيخ الإسلام مولانا الحاج إبراهيم نياس بعد فترة من التريث والانتظار لكونه متضلعا بعلوم الشريعة التي حملته على هذا التريث إلى أن جذبه ابن أخته عثمان سيك (أمّه فاطم بوري كوتا شقيقة عمر بن مالك)الذي كتب إليه رسالة استهلها بقوله: يا خالي هذه الرسالة منك وإليك. فلما قرأ الشيخ عمر بن مالك هذه العبارة قال في نفسه كيف تكون هذه الرسالة مني وإليّ في آن واحد! كيف استطاع ابن أختي أن يكتب شيئا لا أعرفه! ظل يفكر في معاني هذه العبارة إلى أن قرر الذهاب إلى شيخ الإسلام في بلدة كوسي وتربّى على يديه رضي الله عنهما وذلك في عام ١٩٣٠م.

فنحن لسنا في صدد تأليف كتاب بقدر ما نعطي موجزا عن هذا الرجل الذي صاحب شيخ الإسلام ووالده طوال فترة حياته، ولعلنا سنتاح لنا الفرصة يوما للكتابة عنه بإسهاب راجين من الأخ علي حيدر أن يقبل منا العذر مع شكرنا له على همّته العالية بهذه الخدمة الجليلة، إذ أن الكتابة عن عمر بن مالك خلال فترة حياته وخلال الفترة التي صاحب فيها شيخ الإسلام تملأ مجلدات وهي مادة لازالت طازجة لم يتطرق إليها أحد من قبل، وتحتاج إلى بحث طويل مع تنقيب.

٧- وفاته ودفنه في بلدة كوسي:

كما قلنا سابقا ولد الشيخ عمر بن مالك كوتا عام ١٨٨١م في قرية تيانداً قرب كرمجبل حيث سكن والده ولما توفي الشيخ مالك انجاي كوتا انتقل إلى حضانة الشيخ الحاج عبد الله نياس بتوصية من والده لمتابعة دراسته القرآن الكريم ومنه انتقل إلى جاكان لدى عمّه عبده كورا كوتا ثمّ إلى طيبة نيانغين لدى الشيخ أحمد بكار قبل عودته إلى الشيخ الحاج عبد الله نياس مرة أخرى ثمّ غادره إلى قرية بمبانا ثمّ إلى تواوون حسب بعض الروايات ثمّ عاد واستقرّ في جاكان عند عمّه عبده كورا كوتا إلى أن توفي ثمّ غادرها إلى قرية بيمار ثمّ إلى كيبي امبوداي فطيبة امبطيين حيث مكث ردحا من الزمن وفيها مرض، ولما اشتدّ المرض طلب شيخ الإسلام إحضاره إلى بلدة كوسي المقر الخريفي لشيخ الإسلام أنذاك ومنبع الفيضة فتوفي هناك يوم الأربعاء ٢٩ ربيع الأول ١٣٩٧ه الموافق ١٩٣٤م ودفن في مقابرها رضي الله عنه عن عمر يناهز الثلاثة والخمسين.

الشيخ أحمد التجاني كوتا بن الشيخ الحاج عبد الله بن عمر بن مالك